

وأنت هل حضرتك بيتهوفن؟!!

أفنييت عمري كله أدرس الفلسفة الألمانية والأدب الألماني، وأسبح في التيار الموسيقي الألماني، معه وضده.. ولا يوجد اسم ألماني في عالم الفكر لا أعرفه ولم أعش معه، ولم أوجع رأسي بحثاً عن أصله وفصله.. ولذلك فأنا أتردد على ألمانيا منذ سنة ١٩٥٠.. وأنتقل بين مغانيها ومفاتيها وخرائبها ومتاحفها ثم لا أجد وجهاً للشبه كبيراً، بين الذين ألقاهم وبين الذي أقرأ لهم وأعيش معهم وأكتب عنهم.

فمهما ذهب الإنسان بين المدن الألمانية والقرى، شمالاً وجنوباً فلن يجد رجلاً يشبه الموسيقار فاخنر، ولا أحداً يشبه الفيلسوف هيدجر، ولا الشاعر جيته ولا العالم الذري بلانك.. ولكنهم جميعاً من الألمان!

أذكر أنني نزلت ضيفاً على جامعة بتنجن - وهي إحدى الجامعات العريقة التي اتخذت لها مكاناً في مدينة بنفس الاسم. المدينة هادئة - كانت - ليست فيها مواصلات.. ولا عربات ولا سيارات.. وإنما الناس يمشون على أقدامهم.. ويتفرجون في أدب على أقدام وسيقان